

طبع بأمر من حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

السلسلة التاريخية

رقم ١

وزارة الاوقاف والشؤون

الاسلامية

الجزء الأول

من

تَقْرِيبُ الْمَدَارِكِ

وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك

تأليف

القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي المتوفي سنة ٥٤٤ هـ

عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له

محمد بن وهب الطنجي

المملكة المغربية - الرباط

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً عياض لما ذكر المغرب⁽¹⁾

هذه هي الكلمة التي اختارتها الأمة المغربية للتعبير عن مكانة عياض في تاريخها .

وهي خلاصة لما تركته حياته الحبيبة الحافلة ، وعلمه الواسع ، وسلوكه الحميد – من آثار جميلة بعيدة النور في قلوب مواطنه .
وذكره المؤرخون !

وال المشارقة من أهل العلم والمغاربة ، سواءً في الأديج بحمده ، والإشادة بما ثراه الخالدة .

وعياض ! في الشرق ، وفي الغرب ، وفي كل بلد من بلاد الإسلام ،
حقٌ أن يخلد ذكره ، وأن يُنشر فضله ؛ وحرىٌ أن تتساند حائل
العلم في كل بقاع الأرض المسماة على إجلاله وتقديره .

والقاضي عياض – حين يحدث ، وهو يعني لم يحدث ، عن بعض
شيوهه ، أنه كان يقول : « ما لكم تأخذون العلم عنا ، وتستفيدون

(I) كلمة شاعت على الشنة الجماهير في المغرب ، من غير أن تنسب لقائل معين .

منا ، ثم تذكروننا فلا تترحّمون علينا ⁽²⁾ ، - يُعتبر الاعتراف بفضل العالم المفید شکراً للعلم ، ودَيْنَا يجب على الخلف المستفيد أن يؤديه ؛ وهو للسلف - قبل وبعد - لسان الصِدْق في الآخرين .

وقد قيل : « مَن ورَّخْ مؤمناً فَكأنما أحياء » ⁽³⁾

وأراد الله أن يكون الخلف وفيها لعياض ؛ فقد اختصه بالتأليف قوم وترجم له أقوام . ⁽⁴⁾

وليس من غرضنا - في هذه الكلمة - أن نستقصى دقائق تاريخ القاضي عياض ، فإنما ، لو قصدنا إلى ذلك هنا ، لما وفيانا به ؛ فحياته - من أي جانب نظرت إليها - غنية عامرة وهذه جهة ، والحديث عنها ، حديث - في الواقع - عن عصر من أدق عصور التاريخ في هذا البلد وتلك جهة ثانية .

وانما هدفنا أن نسجل معالم عامة لحياته وخاصة ما يتصل بالجانب الفكري منها ، بغية أن نقف على ما لعله أن يكون قد أثر في منهجه في البحث والتأليف ، وخاصة في كتابه « ترتيب المدارك » الذي نقدم له بهذه الكلمات .

(4) ذكرنا لائحة تتضمن مراجع لترجمة

(2) ابن بشكوال ، الصلة 446 ، الغنية 128

القاضي عياض .

(3) السخاوي ، الإعلان بالتنويين 28 .

نسبة :

نقل ابنه محمد ،⁽⁵⁾ وأبو القاسم ابن الماجوم ،⁽⁶⁾ كلا هما عن القاضي عياض أنه :

« عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليخصبى » .

وهو نسب يرتفع - كما نرى - إلى يحصب بن مالك بن زيد ،⁽⁷⁾ ويحصب ، أخو ذي أصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتهي إليه نسب الامام مالك بن أنس الأصبحي .

وهكذا يمت القاضي عياض إلى الامام مالك بصلتين :

صلة المذهب المالكي الذي دان به سكان المغرب وما يزالون وكان عياض من أبرز أعلامه وأشهرهم .

وصلة القربي والانتساب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن ، ذات الصيت الذاعن في التاريخ الإسلامي .

(7) وقع في ازهار الرياض ٢٧ / ١ : « يحصب بن مدرك » ، وهو تصحيف . ونسب يحصب في جمهرة ابن حزم ٤٠٨ - ٤٠٩ ، ونهاية الارب للفقيه ٢٤٩ ، ٢٥٤ . وأنظر تاج العروس (حصب - صبح) .

(5) في كتابه الذي عرف فيه بأبيه صحيفة ٣ - ٤ ، وانظر ازهار الرياض ٢٣ / ١ - ٢٥ .

(6) ازهار الرياض ٢٤ / ١ .

ومن المحتمل ، ولا نذهب إلى أكثر من الاحتمال ، أن يكون لصلة القُتُبِيَّ هذه — فوق ما للأسباب التي بسطها القاضي في مقدمة « ترتيب المدارك ⁽⁸⁾ » ، وفوق ما لصلة المذهب — أثرها في توجيه القاضي عياض إلى العنايةبالغة بحياة الامام ، وابرازها في إطار من الجلال والبهاء ، وفي اصراره على أن يُبعد عنها كلّ ما من شأنه أن يشوب نصوصها ، ويحدث في بهاها .

موطن سلفه :

وكان منزل أجداده بجهة بسطة ⁽⁹⁾ (Baza) التي تبعد 123 كيلومترا نحو الشمال الشرقي من مدينة غرناطة ، ومنها انقلوا إلى فاس ، ثم إلى مدينة سبتة .

وذكر ابنه محمد أن سلفه قد استقر بالقิروان ، غير أنه لم يدر هل كان استقرارهم بها قبل نزولهم بالأندلس أو بعده ⁽¹⁰⁾ .

ولم نعرف ، في عداد أهل العلم ، أحداً من أجداده ، غير أن يفهم كان من البيوتات النابهة بفاس وبسبتة ، وأن جده عمرون الذي انتقل من فاس إلى سبتة حوالي سنة 373 هـ ، كان من أهل الخير ، حافظاً للقرآن ، حج

نزلوا بقلعة يحصب al-cala la Real على بعد ست مراحل في الشمال الغربي من مدينة غرناطة وأن هذه القلعة سميت بهم ، واليها ينسب القاضي عياض .

(8) ٤/١ - ٦

(9) التعريف ٤ ، المعجم لابن الأبار 294
الوفيات ١/ 497 ، الدبياج 168 ، تاريخ
الفكر الاندلسي 293 ، 397 .

(10) التعريف ٤ - ٥ ، وانظر الدبياج 168

وفي تاج العروس (حصب) ان البيحصيين

إحدى عشرة مبرة ، وغزا مع المنصور ابن أبي عامر كثيراً من الغزوات ، وأنه اشتري أرضاً بسبعة من ماله جعل جزءاً منها وقفاً على المسلمين يدفنون فيه موتاهم ، وجاءاً بنى فيه مسجداً ، ودياراً جعلها جسراً على المسجد ، وأنه لازم هذا المسجد للتعبد إلى أن مات سنة 397 هـ⁽¹¹⁾ . وهي خلال كلها تمكن لباهة الذكر ورفعه المكانة .

مولده :

وبسبته - حسبما كتب القاضي بخطه⁽¹²⁾ ، وعنه نقل ابنه محمد - ولد القاضي عياض ، في متصف شعبان من سنة 478 هـ⁽¹³⁾ . وسبته قاعدة من قواعد المغرب ، هيأها موقعها الجغرافي لألف تكون ملتقى العلماء ، سواء الواردون عليها من الشرق والمغرب ، بقصد العبور إلى الأندلس ، أم القادمون إليها من الأندلس إلى المغرب ، بقصد الرحلة أو الإقامة ، وأن تصبح - نتيجة لذلك - ملتقى ثقافات متعددة . وهكذا أنشأ العلماء المقيمون بسبته ، والوافدون إليها ، مركزاً ثقافياً بها ، له أهميته ، وله ميزاته وخصائصه .

وافتقت مصادر ترجمة عياض على وصفه بالذكاء ، والفهم ، والحنق ،

(12) بغية الملتمش 425 ، المعجم 294
الصلة 447 ، الوقیقات I/ 497 ، الاحاطة
I82 - ب .

(13) التعريف 5 ، وعنه ابن الخطيب في
الاحاطة 182. ١ ، والمقرى في ازهار الرياض
(12) الصلة 447 ، المعجم لابن البار 296.

والقطنة ، والتَّيْقُظ ، والحرص على طَلَبِ الْعِلْم .

وهي مؤهلات ، من شأنها أن ترفع صاحبها إلى مراتب عالية في العلم
والفضل .

وبهذه المواهب العقلية الممتازة ، وفي ذلك الجو العلمي الذي تهأله بمسقط
رأسه سبعة ، بدأ عياض طَلَبَه للعلم .

وإذا كانت الكتب التي يدرسها طالب العلم ، تتدخل - مثلما يؤثر
الشيخ - في تكوين شخصيته ، فإن ما قرأه عياض الطالب ، وقد جاءه الله
ذلك المواهب العقلية ، من أمميات الكتب على اختلاف موضوعاتها ، في بلده
سبعة ، دال على أن شخصيته العلمية قد اكتملت قبل أن يغادر بلده ، وأنه
قد انتزع شهرته الحالية على الزمن بسعيه ، دون أن يحييه بها أحد .

ففي بلده حفظ القرآن بقراءاته السبع ؛ برواية نافع ، وابن كثير ، وأبي
عمرو بن العلاء ، وابن عامر ، أخذ هذه الروايات بطرقها المختلفة المعروفة
- عن عبد الله بن إدريس بن سهل المقرئ (المتوفي سنة 515 هـ) ،
وبرواية حمزة بن حبيب الزيارات ، عن عبد الله بن محمد النَّفْزِي (المتوفي
سنة 538 هـ)⁽¹⁵⁾ .

وقرأ اللغة العربية ، متَّها وأدبها ، في كتاب الفصيح لآبي العباس
نعلب ، وكتاب الأَمَالِي لآبي القاتل ، والكامل لآبي العباس محمد بن

⁽¹⁵⁾ الغنية 148 ، وانظر 43 .

⁽¹⁴⁾ الغنية 149 ، وانظر 173 .

يزيد البرد ، وأدب الكتاب لأبي محمد بن قتيبة⁽¹⁶⁾ .

ودرس قواعدها في كتاب الجمل للزجاجي ، والواضح لأبي بكر الزبيري ، والكافى لابن النحاس ، والمقتضى للمبرد ، والإيضاح لأبي على الفارسى ، (17) وشرح الجمل لابن فضال⁽¹⁸⁾ .

أما أصول الفقه ، وأصول الدين وعلم الكلام⁽¹⁹⁾ على مذهب أبي الحسن الأشعري ، والجدل والمناظرة ، (20) فقرأ أصول الدين على قاضي سبعة عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم الخمى (المتوفى سنة 458 هـ) ، (21) وقرأ رسالة ابن أبي زيد القيروانى⁽²²⁾ على محمد بن عيسى التميمي ؛ وصاحب عبد الغالب بن يوسف السالمي (المتوفى سنة 516 هـ) المتكلم على مذهب أهل السنة من الأشعرية ، مدة إقامته سبعة ، وباوله كثيراً من مجموعاته⁽²³⁾ ، وقرأ على يوسف بن موسى الكلبى، المتكلم على مذهب الأشعرية، أرجوزته

والرد على المخالفين لهم فيما .
فالمحاجة والمناظرة جزء من مفهوم علم
الكلام .

(20) أما « علم الجدل والمناظرة » ،
فيراد به الجدل في مسائل الفقه تارة ، وفي
مسائل الاعتقاد تارة أخرى ، ومعما كان
فهو صناعة الجدل .

(21) الغنية ١٤٦ .

(22) الغنية ٢٢ .

(23) الغنية ٦٦ .

(16) الغنية ١٣٤ - ١٣٥ ، وانظر ٤٣ ، ٦٧ .

(17) الغنية ١٣٥ .

(18) الغنية ١٦٠ .

(19) جاء في « التعريف » صحيفة ٦ ان
أنقاضي عياضاً كان متكلماً أصولياً ، وكان
لا يرى الكلام في ذلك الا عند نازلة . وعلم
الكلام ، منذ نشأته ، يعني الحجاج عن
العقيدة والمناظرة عليها ، ثم اشتهر - بين
أهل السنة - استعماله في معنى الحجاج عن
العقيدة السننية بالادلة البرهانية العقلية ،

التي ألقها في الاعتقادات ، (24) كماقرأ كتاب المنهاج في الجدل والمناظرة
لأبي الوليد الباقي (25).

واحتاج عياض المتكرر في كتاب الشفا بآراء أبي الحسن الأشعري ، (26)
والقاضي أبي بكر الباقلاني ، (27) وأبي بكر ابن فورك ، (28) وأبي المعالي

إمام الحرمين الجويني ، (29) يثبت كل ذلك صلة الوثيقة بمذهب الأشعرية
وبكتابهم ، وقراءاته مؤلفاتهم في الاعتقاد ، (30) ووصفه للباقلاني ، وأبي
بكر ابن فورك بقوله : « من أئمتنا (31) » ، دال على أنه أشعرى المذهب.

ومناقشاته العميقه لآراء المعتزلة ، (32) والفرق الاعتقادية الا-لامية ، على
اختلاف مذاهبها ، (33) والمفلاسفة ، (34) والصوفية ، (35) والخوارج (36) - تطلع
الدارس لمياغن على معرفته الواسعة بالمذاهب الاعتقادية وآراء أصحابها .

وصلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة ، ومعرفته
بدقيق آراء الخالفين لأهل السنة فيه . تصل بنا إلى أن المدرسة التي أخرجت
القاضي عياضاً وشيوخه الذين تعلم عليهم الكلام وأصول الدين ، وكثير

(31) الشفا 1/ 216.

(24) الغنية 215.

(32) الشفا 2/ 266، 267، 278، 279.

(25) الغنية 160.

(33) الشفا 2/ 268، 269.

(26) الشفنا 2/ 277.

(34) الشفا 2/ 269.

(27) الشفنا 1/ 215، 216/ 2، 263/ 2، 267، 276.

(35) الشفنا 2/ 269.

(28) الشفنا 1/ 216، 216/ 2، 311.

(36) الشفنا 2/ 271.

(29) الشفنا 1/ 205، 205/ 2، 264/ 2.

(30) الغنية 166، 215.

من العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بعلم الكلام واشتهروا به ، وترجم لهم في « ترتيب المدارك » .

نقول : هذه المدرسة كانت على علم تام بالجدل والمناقشة وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري ، وأن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسوها في كافة أنحاء المغرب .

ومن هنا نصل إلى عدم صحة ما حيك حول مهدي الموحدين ، من أن أعلاماء المغرب في عهد المرابطين ، لم تكن لهم معرفة بالجدل والنظر ، وأنهم - لذلك لم يستطيعوا أن يثبتوا له في مناظراته ، وأن التجسيم كان غالبا عليهم في الاعتقاد ، فجاء ابن تومرت بعقيدة التوحيد ، ونشرها ، وسمى أتباعه لموحدين ، إلى آخر ما قيل وكُرر⁽³⁷⁾ .

إنه خدعة سياسة أذاعها ابن تومرت وأنصاره لتوطيد نفوذهم في نفوس الجماهير ، واغتر بها المؤرخون؛ ومن العجيب أن يكون ابن خلدون الوعي من ضحاياها. وبسبته أيضاً عن أعلامها ومحدثتها أخذ علم الحديث ، منه وغربية ورجاله ومصطلحه .

فقرأ الموطأ للإمام مالك ، ومسند الموطأ لأبي القاسم الجوهرى ، وصحى البخاري برواياتي الفربرى والنَّسْفِى ، وصحى مسلم ، وسنن النسائى ، وشرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، واصلاح الغلط على

(37) ابن خلدون ، العبر 226 / 6 - 229 ، 266.

أبي عبد لا^ء بى محمد ابن قتيبة ، وغريب الحديث لا^ء بى سليمان الخطابي ، وعلوم الحديث للحاكم ، وكتاب الطبقات لمسلم الحاج صاحب الصحيح ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنساني ، وكتاب الطبقات له ، وكتاب التقصى لابن عبد البر ، ⁽³⁸⁾ والمختلف وال مختلف للدارقطنى ، ⁽³⁹⁾ والمختلف في تكميلة المؤتلف والمختلف للخطيب البغدادي ، ⁽⁴⁰⁾ ومشكل الحديث لابن فورك ، ⁽⁴¹⁾ والاكمال لابن ماكولا ⁽⁴²⁾.

أما الفقه المالكي ، فدرس رسالة ابن أبي زيد ، ⁽⁴³⁾ والمدوة ، ⁽⁴⁴⁾ وتأليفاً في الأيمان الازمة للقاضي أبي بكر ابن العربي المعاشر ، قرأه عليه سبعة عند مروره بها . ⁽⁴⁵⁾

وقرأ أصول الفقه على محمد بن داود بن عطية القلعي .

رحلته

بهذا الحصول العلمي الرائع رحل عياض إلى الأندلس .

وقد عنى مؤرخوه بتحديد مبدأ رحلته ومدتها ، ⁽⁴⁶⁾ وهي عنابة محمودة لها فوائدتها ، ولكن مبدأ الرحلة ومدتها لا يهمنا ولا يفيدنا الفائدة التي

. (38) الغنية 2 - 22، 146، 190، 191.

. (39) الغنية 51 - 56.

. (40) الغنية 51 - 56، 64.

. (41) الغنية 135.

. (42) الغنية 56.

. (43) الغنية 56.

. (44) الغنية 22.

. (45) الغنية 19، 119، 146، 40 - 42.

. (46) في التعريف 9 - 10 وإزهار الرياض

. 3/8 - 10 : أنه خرج من سبعة سنة 507 هـ.

. وعاد من رحلته سنة 508 هـ.

تعود علينا من معرفة ما فعله القاضي في رحلته ، وما خلفته هذه الرحلة من آثار في معلوماته وفي تفكيره .

والرحلة في طلب العلم ، تعنى - في ميدان التربية العلمية وتقويم أسس التفكير في الإسلام - أمران :

الأول :

التأكد من سلامة المنهج النقلى ومن كماله ، وي يتطلب ذلك تصحيح المتون المروية ، والبحث عن أصولها ، ووصل أسانيدها بأصحابها ، والبحث عن أعلى هذه الأسانيد وأقوامها وأصحابها .

فهذه المادة المروية ، إذا لم ثبتت بصورة صحيحة نسبتها إلى أصحابها ، لا تصلح أن تتخذ أساسا للبحث والدرس وبناء أحكام عليها ، سواء كانت هذه الأحكام دينية أو علمية أو أدبية .

والحرص على إكمال المنهج النقلى وسلامته ، واضح في عناية القاضي بالبالغة بالتوسيع في الرواية القراءة، فنراه يقرأ كتاباً جديدة لم يقرأها بلدته⁽⁴⁷⁾ ، وبمقابلة كتبه⁽⁴⁸⁾ بالحصول الصحيح ، والبحث عن أصول العلام الخطية المستندة⁽⁴⁹⁾ والتنصيص على الأصح والأفضل من روایاتها إلى أصحابها، إن تعددت الطرق والروايات ،⁽⁵⁰⁾ وبالنّص - كذلك - على أنه قابل أو صحيح .

والأمر الثاني :

(49) الفنية II .

(47) الفنية 142، 155 .

(50) الفنية 142، 155 .

(48) الفنية 15، 26، 27، 172 .

تصحيح منهج التفكير ، وإقامة أساسه على قواعد ثابتة . وتقول مصادر ترجمته : إنه عُنى في رحلته بلقاء الشيوخ ،⁽⁵¹⁾ ولم يكن غرض عياض الاً ساسي من رحلته أن يرى وجوه الشيوخ ، وإنما كان يعني — بعد أن سَلِمَ له المنهج النقل — أن يقابل أفكارهم ؛ فيزدَّها بما تعلَّمه في بلده من أفكار .

وقدِّيما قيل : « إذا أردت أن تعرف مقدار شيخك فجالس غيره » . ولقاء الشيوخ هو الذي أتاح لعياض أن يرُصد عن كثب مناهجهم في التفكير ، ويرقب كيف يتناولون المسائل بالدرس والبحث ، يردون منها ما يردون ، ويقبلون ما يقبلون ، فينقله ما شاهد وَمَا فَهِمَ إِلَى مَا تعلَّمه عن علماء بلده من أسس ومناهج ، يقارن بينها وُيُفاضِلُ ، فُيُنْبَقِي في ذهنه — بعد الموازنة والعرض على ميزان النقد — ما يصلح أن يبقى ، وينفي ما لا يثبت للنقد .

وبعملية الاختبار والمفاضلة . والتقييم والتلقيح هذه ، تم له بناء الجهاز النقدي ، وتكلمت له أصول التفكير على أساس من المقارنة والاختيار .

شهادة أهل العلم له

وعرف مكانه عند أشياخه أثناء رحلته وقبل أن يعود إلى وطنه ، وقد أثْرَتْ عَنْهُمْ كلاماتٌ تشير إلى فراستهم فيه ، وتقديرهم له ، واعترافهم بفضلِه .

• (52) الصلة 446 ، الوفيات ٤٩٧ / ١

وعالمه .

قال له أستاذه أبو عبد الله ابن حمدين ، وقت رحلته : « وَحَقِّي يَا أَبَا الفضل إِن كُنْتَ ترَكْتَ بِالْمَغْرِبِ مِثْلَكَ ⁽⁵²⁾ ». .

وأراد الرحلة إلى بعض الأشياخ ^{بِالْأَنْدَلُسِ} لا يأخذ عنه ، فقال له الوزير أبو الحسين ابن سراج : « لَهُو أَحْوَجُ إِلَيْكَ مِنْكَ إِلَيْهِ ⁽⁵³⁾ ». .

وقال أبو محمد ابن أبي جعفر : « مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَغْرِبِ أَنْبَلَ
مِنْ عِيَاضَ ⁽⁵⁴⁾ ». .

ولقيه بسبتة الوزير الكاتب الشاعر عبد المجيد ابن عبدون (المتوفى سنة
527 هـ) ، فأقسم له أنه ما قصد سبتة ^{إِلَّا لِلْقِيَاهِ} ⁽⁵⁵⁾ . .

وفي رحلته كتب عنه أبو عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل الطليطلي أشياء

من حديثه ⁽⁵⁶⁾ . .

وعاد عياض من رحلته ، قبساً من النور يُضيء ، وَمَعِينًا عَذْبًا فياضاً
من العلم لا يلحقه النضوب ، وصوتاً عالياً للحق ينادي - مرشدًا ، وَحاكمًا -
فِي شِيمَعِ النَّدَاءِ ، وَطَاقَةً هائلةً مِنَ الإِيمَانِ وَالثَّباتِ وَالْخُلُقِ .

وإلى هذا جيئاً إحساسًّا واع بنفسه وببلده ، ⁽⁵⁷⁾ وبالمكانة التي تهيات

بأخبار سبتة ، وتاليفه كتاب « العيون
الستة » . والعنية بتاريخ المدن المغربية
قديم ؛ فقد ألف محمد بن يوسف التاريخي
الوراق أخبار تاهرت ، والبصرة ، وسجلها
ونکور ، وغيرها

(52، 53، 54) التعریف صحیفة 121 .

(55) الغنیة 167 .

(56) الغنیة 59 .

(57) من مظاهر هذا الاحساس عنایته

له ، بما ورثه عن سلفه ، وبما أفاده بسعيه ، وتقدير⁵⁹ للمسؤوليات الثقيلة التي
تفرضها عليه تقاليد هذه المكانة ، من إرشاد وهداية ، وتوجيه وتنوير ،
وحماية إن كانت السلامة في الكرامة الإنسانية وفي المقدّسات لا تحفظ إلا
بالحماية .

وقفت له بلاده قلبها ، فأحبته وأكبرته ، وأسندت إليه قيادها ، فكان
عياض في جميع ذلك الرائد الأمين الذي لا يكذب أهله .

حدث ابنه في « التعريف » ، وابن صعد في « النجم الثاقب »، وعن الإفراني في
« دُرَرِ الْجَالَ » في سبعة رجال في السبط الثاني منه : أن القاضي عياضاً لما
ولى قضاء بلده كانت الخاصة والعامة على غاية من محبته وإجلاله وإكباره ،
وكان له من الهيئة والجلالة عند الأمراء والولاة ، ما جعلهم يقبلون قوله ،
حين يطال لهم بأداء حقٍ من حقوق الرعية ، ويتنافسون في قضاة حقه والقيام
بواجبه .

وحذروا عن سيرة القاضي في قومه ، فقالوا : انه كان صلباً في الحق لتأخذه
فيه لومة لائم ، مجبأ في طلبة العلم محرض عليهم على طلبه ،⁽⁵⁸⁾ كثير
التواضع ، يقبل على المساكين والقراء ، فيسألهم عن حوالهم ويكثر الصدقة
عليهم ،⁽⁵⁹⁾ ويعاصر الناس بالأخلاق الحسنة ، والجانب اللين ، و يؤثرهم بما

. 7 التعريف 59، 58)

يجد؛ أتفق في ذلك أكثر ما ورثه عن أبيه ، وباع فيه رباعه بسبعة وأملاكه ،
ومات مديناً بخمسماة دينار ⁽⁶⁰⁾ .

أما صلة القاضي عياض بربه في عبادته ، فكان متین الدين مجتهداً ،
كثير الصوم ، قوام الليل ، تالياً لجزء من كتاب الله — عزوجل — في
الجزء الأخير من الليل ، لم يتدركه — ما قدر على تلاوته — في آية
حالة ، ملتزاً لحدود الشريعة ، سنياً في عقيدته شديد التمسك بها إلى حد
⁽⁶¹⁾ العصب

ولم يصرفه واجبه الديني والاجتماعي عن الواجب العلمي المقدس ؟ فكان
دائمة الصلة بعلمه ، لا يفارق كتبه ، يقرأ ، ويدرس ، ويبحث ومؤلف .

❀ ❀ ❀

وتطورت الأحداث ، وأرغمه على أن يخوض غمارها ، وكانت هناك
مقررات سنية عقدية لا سيل إلى التخل عنها ، آمن بها أهل هذا المغرب ،
ومنهم علماؤه الذين جاهدوا في سبيل المحافظة عليها بكل ما كان لديهم
من الوسائل .

والعقيدة السنوية تجيء في طليعة هذه المقررات ، وهي تقرر — فيما
تقرر — أن لا عصمة لا أحد من الناس غير الأنبياء .

(60) التعريف ١٢٨ .

(61) شذرات الذهب ٤/٣٩ .

أضف إلى قضية المصلحة، ما كانت تستلزمه من مظاهر التشيع.

وهناك الموقف الحذر أو العدائى الذى اتفق عليه أعلام المغرب، أو كادوا، تجاه مباحثات واتجاهات في كتاب «إحياء العلوم» للغزالى. ويمكن حصر هذه المباحث التي رفضتها الأوساط الفكرية في المغرب في نقطتين:

الأولى: ذلك الموقف السلبي الخطير الذي يقفه الغزالى في كتاب الإحياء وغيره — من الاشتغال بالعلوم الإسلامية، باستثناء التصوف. والثانية: ما عرض للبحث فيه من «علوم المكافحة»، وما بناه عليه من نتائج وأحكام.

وآمن عياض بما آمن به، أهل السنة في المغرب، وكان شديد التمسك بما آمن به، وقرأ على محمد بن عبد العزيز التغلبى (المتوفى سنة 508 هـ) ردوده على الغزالى⁽⁶²⁾ وأغلبظن — ولا شيء يمنع من — أنه كان على علم بموقف المازري شيخه من كتاب «إحياء العلوم» للغزالى.

فكان عياض — من هذا جميده — رأيه في كتب الغزالى وآرائه، مماثلا لما رأه شيوخه ومعاصروه فيها؛ كان عياض يرى أن الغزالى لو اختصر الإحياء واقتصر فيه على العلم الحالى، وهذه عبارته، لكن كتابا مفيدا⁽⁶³⁾ وغير الحالى من العلم في كتاب الإحياء — فيما يعني عياض —

(62) الغنية 25.

(63) التعريف 121.

هو « علم المكافحة » .

وحكى ابن العماد الخبلي ،⁽⁶⁴⁾ والشّعراني⁽⁶⁵⁾ أن عياضاً كان يرى أن كتاب الإحياء يجب أن يحرق ، وليس غريباً ما حكيمه عنه ؛ فلعياض في كتاب الشفا⁽⁶⁶⁾ حكم على أبي حامد الغزالى — رحمهما الله — في غاية القسوة .

وكان لعياض كذلك اعتقاده في العصمة التي وصف المهدى بها نفسه . وجاء مهدى الموحدين فصادم أهل المغرب في أقدس ما لديهم وهى عقيدتهم السنوية ، وسمواهم مجسمين كافرين ، وقاتلهم قتال كفر ، وحصر التوحيد في أصحابه وأتباعه⁽⁶⁷⁾ . وأقام حركة على دعامتين : عصمة الإمام ، وهو كان الإمام .

وعمله بالمعيقات ، وقد استفاده من كتاب الجفر الذي يتضمن علوم أهل البيت . وعصمة الإمام ، عند الإمامية ، وعنهم ينقل ابن تومرت : تَعْنِي أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَجُوزُ أَنْ تَصُدُّ عَنْهُ مَعْصِيَةٌ صَغِيرَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلْ مِنْهُ سَهْوٌ فِي الدِّينِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْسِي شَيْئاً مِنَ الْحُكُمَاتِ⁽⁶⁸⁾ . ومن كرامة الإمام عندهم أن يعرف ضمائير الناس وأن يعرف ما يكون

(67) ابن خلدون ، العبر / 6، 226، 227، 228، 229، 222 ، وابن زيدان ، اعلام الناس I / 87، 88 .

(68) أوائل المقالات 36 .

(64) الشذرات 4/39 .
(65) طبقات الشعراوي I / 15 .

(66) 267/2 .

قبل كونه ⁽⁶⁹⁾ .

وموقف العقيدة السننية من عصمة الائمة أنها لا تقبل عصمة أحد من الناس غير الانبياء ، كما أنها ترفض وصف الائمة بأنهم يعلمون الغيب وما تكتنه ضمائر الناس ، ويختفيه الفد .

وتعرض الفزالي لعلوم المكافحة ، وإفاضته فيها ، واعتماده عليها — ⁽⁷⁰⁾ من الاسباب التي حدّت بالعلماء في المغرب أن يقفوا من كتاب «الاحياء» موقفهم العدائى المعروف ، ومن أجل هذا أيضاً كان موقف عياض ورأيه ، الذي رأى ، في الفزالي وفي كتبه .

ومن السهل — بعد هذا الذي أشرت إليه — أن يفهم الدارس لماذا قاوم المغاربة في كل مكان دعوة الموحدين ، ثم لماذا ثارت سبعة وكررت العصيان ، بزعامة عياض في وجه نظام الموحدين .

والموضوع لا يسمح لي بتفصيل القول في هذا هنا ، ولا كنى أريد أن أقول : إن عياضاً لم يتنازل قط عن عقيدته السننية ، وما كان الظن به أَنْ يفعل ، وإنَّ الموحدين لم يسامحوه قط ، ولذلك غرَّبوه عن بلده ، فجزع — رحمة الله — لفراقها ، وكان يقول لمواطنه عند داعهم بسبعين : « جعلني الله فداءكم » ويبكي ، ⁽⁷¹⁾ ونَفَّصُوا عليه أواخر حياته ، إلى أن لقي ربه

(69) أوائل المقالات 37.

(70) فصلنا القول عن هذا في مقدمتنا لشفاء السائل لابن خلدون .

(71) التعريف ٢٣٢ .

في سَابِعِ جَمَادِي الْآخِيرَةِ ، أَوْ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤ هـ .
وَانْطَلَقَتِ الْفَضَاءُ بَعْدَهُ الرُّؤْيِ وَالْمَنَامَاتِ وَالْقِصَصِ وَالْحَكَايَاتِ ، لَهُ وَعَلَيْهِ .
وَمَا أَكْثَرَ مَا تُحَاكُ الْأَقَاصِيْصُ حَوْلَ النَّابِيْنِ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يَفَارِقُوا
هَذِهِ الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ !

وَمَا أَسْهَلَ أَنْ يَقُولَ فِيهَا الْقَائِلُونَ : إِنَّهَا خَرَافَاتٌ لَا تُشَبِّهُنَّ لِلنَّقْدِ وَلَا يُبَعِّدُهُنَّ
عَنْ مَادَةِ التَّارِيْخِ !

وَهُوَ صَنْيُّ خَاطِئٍ تُسْخِرُ مِنْهُ الْحِبْرَةُ بِنَفْسِيَّاتِ الشَّعُوبِ وَالْأَمَمِ .

إِنَّهُ هَذِهِ الْجُنُودُ الْمَجَنَّدَةُ مِنْ الْحَكَايَاتِ ، وَهُوَ التَّعْبِيرُ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهَا
أَسْلَافُنَا ، هُوَ الْأَسْلُوبُ ذُو الْمَنْطَقِ الْخَاصِ الَّذِي يُبَعِّدُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ، وَكَثِيرًا
مِنْ مُقْرَرَاتِ وَقَوَاعِدِ الْأَحَادِيثِ الرَّسُومِيَّةِ مِنْ حَسَابِهِ ، وَهُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَخْتَارُهَا
الْشَّعُوبُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ إِحْسَاسِهَا نَحْوَ مَنْ تَرِيدُ أَنْ لَا تَنْسَاهُمْ مِنَ النَّاسِ ، وَلِتَسْجِيلِ
رَأْيِهَا فِيهِمْ .

فَقِي رَؤَاهَا وَأَحْلَامُهَا وَأَقَاصِيْصُهَا وَأَسْجَاعُهَا وَأَمَالُهَا ، وَفَقْرُهَا الْقَصِيرَةُ
الَّتِي تَشْبِهُ الْأَمْثَالَ ، وَتَطْبِيرُ كَالْسَّهَامِ — فِي هَذِهِ الصُّورِ جَمِيعًا تَصُوغُ أَفْكَارَهَا،
وَتَسْكُبُ حَبَّبَهَا أَوْ كَرَاهِيَّتَهَا لِأَوْلَانِكَ الَّذِينَ تَسْتَوْدِعُهُمُ التَّرَابُ .
وَلَا مَرِّ مَا قَالُوا : « لِسَانُ الْخَلْقِ أَقْلَامُ الْحَقِّ » .

وَالَّذِي دَفَنُوا عِيَاضًا - رَحْمَهُ اللَّهُ - فَتَنَانُ مِنَ النَّاسِ : حُكْمُ الْمُوْحَدِينَ
وَسَادُهُمْ ، وَأَمَةُ الْمَغْرِبِ ، وَشَعُورُ الْفَلَتَتِينَ نَحْوَهُ مُخْتَلِفٌ مُتَبَاعِدٌ .
أَمَّا الْمُوْحَدُونَ فَحَكَتْ أَقَاصِيْصُهُمْ أَنَّ الغَزَالِيَّ بِلْفَهِ رَأْيُ عِيَاضٍ فِي كُتُبِهِ ،

فَدعا علَيْهِ، فمات فجأةً في الحمام يوم الدُّعاء عليه⁽⁷²⁾.
وقالت أيضًا: إن المهدى هو الذي أمر بقتله بعد أن أدعى عليه أهل
بلده بأنه يهودي، لأنَّه كان لا يخرج يوم السبت... فقتلَه المهدى لاَجل
دُعوة الغزال⁽⁷³⁾.

وأما الأئمة المغريبة، فكانت أصابعها تشير إلى الموحدين تفهمهم
وتقول: «سَمَّ ابن العربي، وخفق اليحصبي»⁽⁷⁴⁾. وتقول، وهي تعدُّه
، بقولها هذا، في الشهداء: «سمه يهودي»⁽⁷⁵⁾.
ورؤاها المتعلقة بعياض، والتي تربطها بيده حيث نشأ ودرج وأفاد
وأرشد، وبالجزيرة الخضراء حيث أزال عن أهلها مظالم بعض حكامها،⁽⁷⁶⁾
ومراکش حيث قدم نفسه فداءً لمواطنه، — هذه الرؤا⁽⁷⁷⁾ كانت تشير جيًعا
إلى أنه في الجنة منعمًا مكرماً، جزاءً لما قدمه من أعمال الخير يوم كان نصر
حيًا ينسعى، وأجابت أمته عن كلّ ما من شأنه أن يمس ذكراه العاطرة
 بكلماتها التي ردّتها الشفاه أعواما تناوهاؤعواما: لو لاعياض لما ذكر المغرب.

(75) الديباج ١٧٢ ،

(72) طبقات الشعرااني ٢/٥٥ .

(76) التعريف ١٣١ .

(73) فهرس الفهارس ٢/١٨٥ .

(77) التعريف ١٢٩ - ١٣١ .

(74) المرقبة العليا ٩٥ .

تأليفه:

وعياض ، الى هذه الحياة الحافلة ، مؤلف مجید مکثر أثني العلماء على مؤلفاته ، واستفادوا منها ، وعنوانها .

وقد بلغت المؤلفات المنسوبة اليه الثلاثين أو تزيد ، والذى وصل الينا منها قليل ، وقد حرصنا على احصائها وذكر أسمائها جميعا — مرتبة على حروف المعجم — رجاء أن يفيد ذكرها في الحصول على مالم يعرف وجودة منها .

وهي :

1 - الاجوبة المبهرة عن المسائل المنخبرة .

وهو من الكتب التي لم يكملها القاضي عياض، وذكر ابنه في التعريف 133 — 134 : أنه وجد منه يسيرا فضمه الى ما وجده في بطائق أبيه ، أو عند أصحابه ، من معان شاذة في انواع شتى سئل عنها — رحمة الله عليه — فأجاب عنها .

جمع ذلك كله في جزء ، وقد ذكره أيضا في الاحاطة 183 - 1 ، وأزهار الرياض 2 : 239 خ (المخطوط) ، وكشف الظنون 1 : 11 .

2 - أجوبته فيما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام .

لم يكمله أيضا ، واختلفت المراجع في تقدير ماترك منه ، ففي الاحاطة 183 - 1 ، والتعريف 134 أنه جزء ، وفي أزهار الرياض 2 : 239 خ أنه جزآن .

3 - أجوبة القرطبيين. قال ابنه : رأيت هذه الترجمة بخطه ، ولم أجدها عنــدة مبــضة .

غير أنــى وجدتها في بطائق فجمعتها مع أجوبة غيرهم .

ذكره في التعريف 134 ، الاحاطة 183 - 1 ، ازهار الرياض 2 : 239 خ .

4 - أخبار انقرطبيين ، ذكره في كشف الظنون 1 : 28 ، وفي هدية العارفين 1 : 805 ، وتاريخ

الفكر الاندلسي 283 وقال : ولــه تاريخ لعلماء قرطبة يسمى أخبار القرطبيين .

وأخشى أن يكون «أجوبة القرطبيين» السابق ذكره.

5 - اختصار شرف المصطفى ، «شرف المصطفى» اسم كتاب لابن سعد عبد الملك بن محمد الوعظ النيسابوري المخركوشى المتوفى سنة 406 هـ ، وهو ثمان مجلدات ، ويسمى أيضاً «شرف النبوة» .

وقد اختصره القاضي عياض ، حدث به عنه ابن خير إجازة ومشافعه واذنا ، وذكره في فهرست ما رواه عن شيوخه 289 ، 497 ، وذكره أيضاً صاحب كشف الظنون ، 2 : 1045 .
وكان القاضي كان يمهد لتأليف كتابه الشفا ، فاستطال كتاب شرف المصطفى ، فلخصه ليسهل رجوعه إليه ، واستفادته منه .

6 - الاعلام بحدود قواعد الاسلام ذكره ابنه في التعريف 123 ، والاحاطة 183 .
وكشف الظنون 1 : 127 ، وهدية العارفين 1 : 805 . وقد طبعته وزارة الشؤون الإسلامية في سلسلة مطبوعاتها .

7 - إكمال المعلم بفوائد مسلم ، وهو شرح على صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ، كمل به شرح أبي عبد الله محمد بن علي المازري المعنى بالمعلم بفوائد مسلم .
ذكره القاضي عياض في أول مشارق الانوار 1 : 7 ، وابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه 196 ، 494 ، ورواية عن مؤلفه ، وابنه في التعريف 132 ، والاحاطة 183 - 1 ، وقدره كابنه بتسعة وعشرين جزءاً . وذكره في كشف الظنون ، 1 : 145 ، 1 : 557 ، والوفيات 1 : 496 ، وهدية العارفين 1 : 805 . وهو موجود بالخزانة العامة .

8 - الالماع في ضبط الرواية وتقيد السمع . ذكره ابنه في التعريف 133 ، والضبي في بغية الملتمس 428 ، والاحاطة 183 - 1 ، كشف الظنون 1 : 158 ، هدية العارفين 1 : 805 ، تاريخ الفكر الاندلسي 397 .

وهو من الكتب التي كثُر اعتماد المتكلمين في مصطلح الحديث عليه، وقد

وصلنا؛ ففي كل من مكتبة الأسكندرية، وأيا صوفيا نسخة منه.

9 - بغيته الرائد لما تضمنه حديث أمر زرع من الفوائد، وهو أولى شروح هذا الحديث، وأغزرها مادة. ذكره ابنه في التعريف 133، والذهبى في تذكرة الحفاظ 4: 97، وابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه، ورواية عن مؤلفه 197، وابن خلkan 1: 496، كشف الظنون 1: 248، هدية العارفين 1: 805، وفي الخزانة العامة، وبرلين نسخ منه.

10 - تاريخ المراطين، انتهى فيه إلى سنة 540هـ. ذكره ابن خاتمة في «مذكرة المريدة». أزهار الرياض 2: 239خ، وانظر: الجامع في التاريخ.

11 - ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك — يأتي الحديث عنها — التبيهات المستنبطة، على الحكيم المدونة والمختلطة. قدره ابنه، وعنده الاحتاطة عشرة أجزاء.

وكان عليه المعمول في حل ألفاظ المدونة وحل مشكلاتها، وتحرير روایاتها، وتسمية روایتها، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه جمع بين شرح المعانى وايضاحها، وضبط الالفاظ، وذكر من روایها من الشيوخ والحفظ. ذكره ابنه في التعريف 132، والوفيات 1: 496، وعنده الذهبى في تذكرة الحفاظ 4: 97، والاحتاطة 183 — 1، أزهار الرياض 3: 21، كشف الظنون 1: 493، 2: 1644، هدية العارفين 1: 805. وفي الخزانة العامة نسخة منه.

13 - الجامع في التاريخ، يقول القاضى عياض في ترجمة عبد الله بن ياسين القائم بدعة المراطين: «وقد بسطنا أخباره في كتاب التاريخ»، وذكر تأميم عياض محمد بن حمادة البرنسى السبti، وعنده الذهبى في تذكرة الحفاظ 4: 97 بعنوان «جامع التاريخ»، والمقرى في أزهار الرياض 2: 239خ: انه تاريخ المراطين، انتهى

فيه الى سنة 540 هـ ، وانه كتاب أربى على جميع المؤلفات ، فيه اخبار الملوك بالانداس ، وال المغرب ، منذ دخول الاسلام اليهما ، واستوعب أخبار سبعة وقطبهما وفقيهها ، وجميع ما جرى من الامور فيها ، واستوفى أخبار الدولة الحنانية ، وذكره في كشف الظوف 1 : 538 تحت عنوان « جامع التاريخ »، وهدية العارفین 1 : 805 ولم يضيفا شيئاً زائداً على هذا العنوان ، واظر :

العيون الستة ، والفنون الستة .

14 - كتاب « خطبه » ، في سفر . ذكره ابنه في التعريف 133 ، وذكرها في ترجمة القاضي أنه كان لا يخطب الا من اشائه .

15 - سر السراة ، في آداب القضاة . قال ابنه (التعريف 134) : رأيت أيضاً هذه الترجمة بخطه ، ولم أجده من هذا الكتاب شيئاً ، ولا وقت له على خبر . وذكره في الاحاطة 183 - 1 ، وأزهار الرياض 2 : 238 خ وقال : ومما تركه في المبضنة سر السراة الخ . وهو كلام لامعنى له بعد قول ابنه السابق

16 - كتاب سؤالات وترسيل .

اظر : غنية الطالب

17 - السيف المسلول ، على من سب أصحاب الرسول .

ذكره كشف الظوف 2 : 1018 ، وهدية العارفین 1 : 805 .

18 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وسمة الذهبي : الشفا في شرف المصطفى ؛ وهو أشهر من ان يعرف . أقرأه القاضي في حياته واجاز به . ذكره ابنه 132 ، وعن الاحاطة 183 - 1 ، وقد رأه بستة اجزاء ، وأزهار الرياض 2 : 238 خ ، وتذكرة الحفاظ 4 : 97 ، كشف الظوف 2 : 1052 — 1055 ، هدية العارفین 1 : 805 .

19 - الصفا بتحريين الشفا للقاضي سبق ، هذا من كشف الظوف 2 : 1079 .

وهي عبارة موهنة فهم اسماعيل باشا البغدادى منها أن « الصفا بتحرير الشفا »
اسم كتاب لعياض ، ذكره له في ترجمته ١ : ٨٠٥ .

وهو فهم خاطئ ، والصفا بتحرير الشفا من تأليف قطب الدين محمد بن محمد
ابن الحضرى المتوفى سنة ٨٣٤ هـ . كما في كشف الظنون عند الحديث عن
شرح الشفا .

٢٠ — العيون الستة في اخبار ستة ، هكذا ذكره كشف الظنون ٢ : ١١٨٦ ،
وهدية العارفين ١ : ٨٠٥ ، وتاريخ الفكر الاندلسى ٢٨٣ . وانظر:
الفنون الستة

٢١ — غريب الشهاب . ذكره كشف الظنون ٢ : ١٠٢٧ ، وهدية العارفين ١ : ٨٠٥ .

٢٢ — الغنية في أسماء شيوخه . ذكرها وروها عنه ابن خير في فهرست ما
رواها عن شيوخه ٤٣، ٥١٢، الاحاطة ١٨٣ — ١، التعريف ١٣٣، كشف الظنون
٢ : ١٢١٣ ، هدية العارفين ١ : ٨٠٥ .

٢٣ — غنة الكتاب ، وبقية الطالب في الصدور والترسیل . هكذا اورده ابنه في
التعريف ١٣٣ ، والمقرى في ازهار الرياض ٢ : ٢٣٩ خ ، وبقية المصادر مختلفة في ايراد هذا
الاسم ، ففي الكشف : « في صدور الرسائل » ، وفي الاحاطة : « ... في الصدور
والرسائل » ، وقال ابن خاتمة : كتاب في سؤالات وترسیل له ، في نحو اربعة
سفر . قال المقرى : وانظر هذا الذى قاله ابن خاتمة هل هو غنية الطالب المذكور
او غيره .

٢٤ - كتاب العقيدة . ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤ : ٩٧، وهدية العارفين ١ : ٨٠٥ .
وفي فهرس دار الكتب المصرية القديم ٧ : ٢٩٥ : « شرح بالقول لبعض الفضلاء على
عقيدة الامام الاجل القاضي عياض » .

واطن هذه العقيدة هي كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام الذي مر ذكره .

25 - الفنون الستة في اخبار ستة . هكذا سماه في الاحاطة 183 - 1 ، وابنه في التعريف

133 ، والمقرى في ازهار الرياض 2 : 239 خ، وهو مال لم يكمله من تأليفه ، وعبارة الاحاطة : مما تركه في المبضة ، وانظر :

العيون الستة ، والجامع في التاريخ .

26 - القواعد ، هكذا - مجردًا عن الاضافة — ذكره في هدية العارفين ، ولم يذكر

غيره .

وهو ، فيما ارجح : كتاب « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » .

27 - مسألة الاهل المشترط بينهم التزاور ، من الكتب التي تركها القاضي في المبضة ، وذكره ابنه في التعريف 133 ، والمقرى في ازهار الرياض 2 : 239 خ .

28 - مشارق الانوار ، على صلاح الاثار ، وهو من اقوم ما خلف القاضي عياض رحمه الله ، درس فيه الموطأ ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم : عمد الى كلمات اتنف واسمه الاماكن ، والرجال وكناهم والقابهم ، فرتب كل ذلك على حروف المعجم ، ثم شرع في عمله ، فضبط متونها وصححها على الاصول ، ونبه على روایاتها المختلفة ، واشار الى الصواب او الارجح منها ، اعتمادا على المقارنة بين الروايات ، ومتون اللغة ، واستفاده من دراسات السلف التي سبقته ، واعتمادا ، بعد هذا كله ، على استقصائه وكترة بحثه .

ثم افرد فصلا لاسماء الامكنة فضبطها ، وكذلك فعل في الاسماء والالقاب والكنى والأنساب الواردة في اسانيد هذه الكتب الثلاثة المذكورة ، وعاد فرض الى ما وقع في كل فصل من هذه الفصول من تص吉يف وتحريف يقومه وينبه على الصواب فيه ، وختم هذا العمل المعجز بشرح وجيز لغريب كلمات الكتب الثلاثة .

وقد ترك هذا الكتاب في مبيضته ، ووصف خط القاضي فيه بأنه غاية في التشيع ، (والتشييع التعميم في الخط) والادماج والاشكال واهمال الحروف، وجاء الحافظ المحدث ابو عبد الله محمد بن سعيد الغزنوي اشهر بالطرار ، فجمع اصولا وامهات حافلة من كتب الغريب واللغة ، واستعان بها على اخراج نص هذا الكتاب من مسودته .

وذكره ابنه في التعريف 133 ، وعن الاحاطة 183 — ١، والمقرى في ازهار الرياض 2 : 239 خ
وقدروه بستة اجزاء ضخمة ، وابن خلكان 1 : 496 ، وكشف الظنون 2 : 1687 ، وهدية
العارفين 1 : 805 . وقدطبعه السلطان المولى عبد الحفيظ بفاس سنة 1328 هـ .
29 — مطامح الافهام في شرح الاحكام . ذكره في كشف الظنون 2 : 1718 ، وهدية العارفين

. 805 : 1

30 — المعجم في ذكر ابي على الصدفي واخباره وشيوخه واخبارهم ، وهو يتضمن نحو
المائتي شيخ . ذكره القاضي عياض نفسه في الغنية 123 ، وابنه في التعريف 133 ، والاحاطة
المائتي شيخ . ١ - 183

31 — المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان . من الكتب التي لم يكملها ، قال ابن خاتمة: انه
في سفرین . ذكره ابنه 133 ، الاحاطة 183 — ١ ، ازهار الرياض 2 : 238 خ ، وقد تركه في
الميسنة ايضا ، وهو في جزء .

32 — نظم البرهان على صحة جزم الاذاف . ذكره ابنه 133 ، الاحاطة 183 — ١ ، ازهار
الرياض 2 : 239 خ ، كشف الظنون 1 : 1961 ، هدية العارفين 1 : 805 .

أما ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب مالك ، فقد قدره ابنه ، وعنه ابن الخطيب ، والمقرى ، بخمسة أسفار .

وهناك ظواهر يلاحظها القاريء نسخ هذا الكتاب الخطية ، تلح في إيجاد تفسير لها ، يمكن اجمالها فيما يلى :

١ — اختلاف النسخ في عدد أجزاء الكتاب ، ولنعني الأجزاء التي نظن أن المؤلف جزء إليها كتابه ، وهي أجزاء يدل الموجود منها على أنه كان يتضمن كل جزء منها بالبسملة والوصلية ، وينتهي بالتنصيص على نهاية الجزء .

ولم تلتزم النسخ التي ييدنا — بصورة دائمة — النص على بداية كل جزء ونهايته على الصورة التي ذكرناها ، بل تركته أكثر مما عنيت بذلك .

٢ — كثرة الفروق بين النسخ في الكلمات والجمل بافت حداً يدعو إلى البحث عن الوجه فيه ؛ بل وصل الأمر فيها في بعض الأحيان إلى أن كانت لكل نسخة روايتها التي لا تشارك فيها غيرها من النسخ .

٣ — الاختلاف بين النسخ في ترتيب الترجم ، تقديماً وتأخيراً .

٤ — تكرار الترجم ، بحيث ترد ترجمة الشخص الواحد في مكائن . وهي مظاهر لا بد أن يكون وراءها ما أنتجهما .

وقد اتفقت المصادر المعتمد بها في ترجمة عياض — على أنه لم يسمع كتاب « ترتيب المدارك » في حياته لاحد من الناس ، وهي إشارة فيها — فيما نظن — التفسير لهذه الاختلافات ؛ فهي على كل حال تعنى

أن الكتاب لم يقرأه الناس على مؤلفه فتحدد عند قراءته — بصورة علنية ونهاية — أجزاؤه ، وتحدد — بشكل جماعي — النسخ المسموعة منه على متن واحد ، وعلى ترتيب واحد ، وتحذف منه الترجم المكررة . لم يسمع الكتاب ، بل ظل في مسودة المؤلف ،⁽⁷⁸⁾ إلى أن تداولته أيادي النساخ ، فأخرجوه من المسودة باجتهادهم .

ووصف خط عياض عند الحديث على مسودة « مشارق الانوار » من تأليفه ، فقيل : إنه « في أنهى درجات التبيح⁽⁷⁹⁾ والإدماج والإشكال وإهمال الحروف⁽⁸⁰⁾ » .

وهي صفات وسعت المجال للإجتهاد ، فولدت المظاهر التي سبق الحديث عنها . ومهما كان الامر فقد حدث الاختلاف ، وكان له أثره في عملنا في نشر الكتاب ؛ فقد أرغمنا ، إزاء ذلك ، أن نستكشر من النسخ بغية الوصول — أو المقاربة — إلى درجة الاطمئنان .

وكان علينا أن نختار من الفروق ما تتحقق دلالته على معنى صحيح ، غير أنها آثارنا أن نضع بين يدي القاريء كلّ ، أو جلّ ، الفروق ليكون له أن يختار ، إذا وجَّب عليه أن يختار ، ولم نجتهد إلا في اختيار النص الذي أثبتناه ، فهو — حسب اجتهادنا — النص المرجح ، وما وضع من

(78) كانت هذه المسودة التي بخط المؤلف عند النباهي ، وقد أشار إليها مرات في « المرقبة العليا »

(79) التبيح : التعمية وعدم البيان في الخط .

(80) الدبياج 292 .

الروايات في أسفل المتن بين الفروق نصًّا مرجوح ، في أغلب الأحيان .

وقد اعتمدنا في تقويم هذا الجزء على النسخ التالية :

أ — نسخة تحفظ بها الخزانة الملكية ، وهي نسخة جيدة .

وقد التزمنا ترقيم صفحاتها ، فالأرقام المحصوره بين قوسين عن يسار المتن أو يمينه ، تشير إلى صفحات هذه المخطوطة ، وكذلك أرقام فهرس الموضوعات .

ب — نسخة محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم D - 234 .

ت — نسخة خاصة بمكتبتنا .

خ — نسخة خاصة بمكتبتنا أيضا .

ط — نسخة محفوظة بالخزانة العامة أيضا تحت رقم D - 2635 .

ك — نسخة محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم D - 2633 .

وقد أغناانا القاضي عياض — بما بيّنه في مقدمة ترتيب المدارك ، عن الحديث عن منهجه في التأليف ، وتمثله للاصول العلمية المقررة في عهده وتطبيقاتها ، واستيفاء المراجع ونقدتها — عن تكرار الحديث في ذلك ؛ فهو أفصح منا لساناً في التعبير عن عمله .

❀ ❀ ❀

وبعد

فلاً بي الفضل عياض ، ولكتبه مكانة خاصة في نفوس الأسرة العلوية المالكة منذ القديم ؛ فالمغفور له السلطان مولاي محمد بن عبد الله كان

شديد العناية بكتاب عياض ، يقرأها ويطلع على خفاياها ، وينقد ما لا يروقه منها ؛ لقد أمر جمعا من العلماء أن يشرحوا مشارق الانوار للصاغاني فشرح الشيخ التاودي ابن سودة الثالث الاول منه ، وكان على الشيخ عبد القادر بوخريرص - حسب الامر السلطاني - أن يشرح الثالث الثاني ، فكان السلطان مولاي محمد بن عبد الله يدل الشيخ على المراجع والماخذ ، وكان من بينها شرح عياض على صحيح مسلم ⁽⁸¹⁾ .

وعنى بقراءة كتاب الشفا ، ولم تعجبه التفاصيل واستقصاء الجزئيات في قسم « حكم من سب رسول الله ﷺ » ، فانتقد عياضا ، وبعث بانتقاداته إلى علماء مصر يسألهم رأيهم ، فأجابه من علماء الأزهر الشيخ الامير والشيخ عبد المعطى الحريري ، يؤيدان وجهة نظره .

والسلطان مولاي عبد العزيز - قدس الله روحه - أنشأ قراءة الشفا للقاضي عياض في الضريح الإدريسي بفاس عند شروق كل يوم ، وعين لذلك جماعة من جلة العلماء ، وخصص لكل واحد منهم راتبا يوميا لقاء القيام بعمله ⁽⁸²⁾ .

وعناية السلطان مولاي عبد الحفيظ - أسكنه الله دار رضوانه - بعياض معروفة ، فقد طبع على نفقته كتابه « مشارق الانوار » ، وعزم على طبع « ترتيب المدارك » بمصر ، فعهد إلى وكيل الدولة المغربية بها إذ ذاك ، الحاج محمد بن العباس ابن شقرور أن يطبعه ضمن المجموعة القيمة

⁽⁸¹⁾ الدرر الفاخرة 55 . 59 .

⁽⁸²⁾ الدرر الفاخرة 55 . 59 .

من الكتب التي طبعها جلالته على نفقته ، هناك وبالمغرب، وأرسل له النسخ الخطية ليشرع في العمل ، غير أن مانعاً من الموضع حال دون ذلك .

وفي سنة 1330هـ بدأ مولاي عبد الحفيظ بطبع ترتيب المدارك بفاس . على نفقته أيضاً ، فطبعت منه ست عشرة صحيفة ، ثم حال حائل دون الاستمرار في الطبع .

وفي أيام الاحتفال بالذكرى الالئية لجامعة القرويين ، حدثني بعض المقررين إلى حضرة صاحب الجلالة الملك الحايد الذكر ، مولانا محمد الخامس - أنزله الله مقعد الصدق عنده - أن جلالته قد عزم على طبع « ترتيب المدارك » ، وأنه أمر بجمع نسخه لهذا الغرض ، غير أن هذه الامنية الفالية لم يكتب لها حينذاك أن تتحقق .

وهكذا ظلت العناية بترتيب المدارك عهداً يتوارثه ملوك هذه الأسرة الملوية الكريمة الاممجد لاحقاً عن سابق ، حرضاً منهم جميعاً على إحياء مجد هذه الأمة ، والحافظ على مقدّساتها .

وأبى القدر الالهي - حين حالت مراراً دون أن تتحقق رغباتهم الكريمة ، وحين اختارت لتنفيذها وتحقيقها حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني ، نصره الله - إلا أن تقرن هذه المأثرات العلية الحالدة بعهده ، وتنكتب هذه الحسنة المقبولة في صحفه .

ففقد أمر جلاله الملك - حياء الله وأبيه - بطبع ترتيب المدارك ،

وتكرم بالإذن في الاستفادة من نسخة منه لحفظها بها الخزانة الملكية، وواصل
جلالته اهتمامه بانجاز العمل فيه منذ بدايته إلى نهايته .

ففي نور هديه الرشيد سار العمل ، وإلى جلالته — بدءاً وختاماً — يعود
الفضل في إخراج هذا الجزء من « ترتيب المدارك » .

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية يسعدنا أن ترفع بجلالة العامل
العظيم الجوهرة الثانية من كنوز القاضي عياض ، وهي بمناسبة ذلك ترجو
أن يسد الله — جلت قدرته — خطاه ويرعاها ، حتى يصل بأمته إلى المكان
الذي يليق بها وأمجادها ، وأن يقر عينه الكريمة بولى عهده ويحفظه فيه ،
 فهو — جل جلاله — وللإجابة المتفضل بها .

وقسم التأليف والترجمة والنشر بهذه الوزارة يرى لزاماً عليه أن
يسجل لمعالى السيد الوزير الحاج أحمد بر كاش شكره الجليل إزاء ما يلقاه
من معاليه من تشجيع واهتمام دائمين ؛ فالله الكريم يجزيه على عمله
أحسن المخازن .

أما أنا فقد بذلت ، وحسبى أنتي بذلت ، ما في وسعى فإن أصبت
فب توفيق ربّى ، وإن كانت الأخرى فلى أجر ما اجتهدت . والله يهديني
للتى هي أقوم .

الرباط 17 شوال عام 1384 هـ
موافق 19 فبراير سنة 1965 م

محمد بن وَهْبُ الطَّنْجِي

وهذه لائحة بمراجع ترجمة القاضي عياض ، أثبتنا هنا لعلماً أن تفید من يريد

التوسيع في تاريخه .

فقد أفرده بالتألیف :

١ - ابنته أبو عبد الله محمد بن عياض ، (١) قاضي دائرة المتوفى سنة ٥٧٥ .
فعرف به ، وجمع أخباره ، وذكر شيئاً من أشعاره ، وأحصى تأليفه وذكر شيوخه
- في مجلدة متوسطة الحجم .

وأكثر من ترجموا للقاضي بعد ابنته كان هذا الكتاب عمدتهم ، وقد أشرنا إليه
في الحواشى باسم « التعريف » . واعتمدنا على النسخة المحفوظة بالخزانة العامة تحت
رقم (٥٥٣ . ك) .

٢ - وأبو العباس المقربي : أحمد بن محمد المتوفي سنة ١٠٤١ هـ في كتابه :
« أزهار الرياض » ، والأخبار التي تخص القاضي عياضاً فيما طبع من أزهار الرياض -
في الجزء الأول صحيفة ٢٣ - ٢٩ ، والثالث صحيفة ١٦ - ٢١ ، ٥٩ - ٦٤ ، ٩٥ - ١٠١ ،
١٤٩ - ١٦٧ ، ٢٨٢ .

وترجم له من المغاربة :

٣ - الضبي احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة القرطبي ، في بغية الملتمس ،
في تاريخ رجال اهل الاندلس (مدريذ ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م) ، رقم ١٢٩٦ .

٤ - ابن البار ، محمد بن عبيد الله بن ابى بكر البيلنسى ، في المعجم
في اصحاب ابى علي الصdfi (مدريذ ١٨٨٥ م) ، رقم ٢٧٩ .

٥ - الفتح بن خاقان ، في قلائد العقيان ٢٢٢ (بولاق ١٢٨٣ هـ) .

٦ - ابن بشكوال أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك القرطبي ، في
« الأصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم (مدريذ ١٨٨٣
- ١٨٩٢ م) رقم ٩٧٢ .

٧ - ابن صد التلمصاني محمد بن احمد ، في « النجم الثاقب ، فيما لا ولاء الله
من مفاحر المناقب » ، واعتمدنا على نسخة الخزانة العامة (رقم ١٩٩٢ ، ك) .

(١) جاء في المرقبة العليا للنباهي ص ١٠١ ، وعنه المقربي في ازهار الرياض

١٧/٣ - « ... ذكر ذلك حفيده في الجزء الذي صنفه في التعريف به وبتواليفه ». فنسب هذا التعريف لحفييد القاضي وكأنه تصحيف ، ولم يتتبه له المقربي عند نقله .

- ٨ - النباهي على بن عبد الله بن محمد الجذامي ، في « المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا » (القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٠١ .
- ٩ - ابن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية ، في « جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس » (فاس ١٣٠٩ هـ) ص ٢٧٧ .
- ١٠ - ابن الخطيب محمد بن عبدالله بن محمد ، في « الاخطاء في اخبار غرناطة » (مصورة الخزانة العامة رقم ١٧٠٧ - D) لوح ١٨٠ ب - ١٨٣ ب .
- ١١ - الكتاني محمد بن جعفر بن ادريس المتوفي سنة ١٣٤٥ هـ في « سلوة الانناس ومحادثة الاكياس » (فاس ١٣١٦ هـ) ١/١٥١ .
- ١٢ - الكتاني عبد الحفيظ بن عبد الكبير المتوفي سنة ١٣٨٢ هـ ، في « فهرس الفهارس » ، (فاس ١٣٤٦ هـ) ٢/١٨٣ .
- ١٣ - الافراطي محمد الصغير ، في « درر الرجال ، في سبعة رجال ، الناصري ، احمد بن خالد ، في « الاستقسا لاخبار دول المغرب الاقصى ١٤١ ، ١٤١/١ .
- ١٤ - محمد بن محمد مخلوف التونسي ، في « شجرة النور الزكية » (القاهرة ١٣٤٩ هـ) ص ١٤١ - ١٤١ .
- ١٥ - العباس بن ابراهيم المراكشي ، في « اظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال » ، ١/٨١ - ١١٨ .

ومن المشارقة :

- ١٧ - ابن خلكان احمد بن محمد بن ابراهيم ، في « وفيات الاعيان ، وأئمأة أبناء الزمان ، مما ثبت بالنقل أو السمع وأثبتته العيان » ، (مولاق ١٢٧٥ هـ) ، ١/٤٩٦ .
- ١٨ - الذهبي محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز ، في « تذكرة الحفاظ » (حيدرآباد ١٣٣٤ هـ) ٤/٩٦ - ٩٩ .
- ١٩ - الذهبي محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز ، في « دول الاسلام » (حيدرآباد ١٣٦٤ هـ) ٢/٤٤ .
- ٢٠ - ابن كثير اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي . في « البداية والنهاية » . ١٢/٢٢٥ .
- ٢١ - أبو الفداء اسماعيل صاحب حماة ، في « الخبر عن البشر » ، (استانبول ١٢٨٦ هـ) ٣/٢٣ .

- 22 - ابن فردون ابراهيم علي بن محمد اليعمرى المدنى ، في « الذیاج المذهب » (القاهرة ١٣٥١ھ) ص ١٦٨ .
- 23 - طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٦٢ھ في « مفتاح السعادة » ٢/١٩ .
- 24 - ابن العماد الحنبلى عبد الحي بن احمد بن محمد أبو الفلاح ، فى « شذرات الذهب » ، في أخبار من ذهب » (القاهرة ١٩٥٠ھ) ١٣٨/٤ .
- 25 - الخوانساري العيززا محمد باقر الموسوي ، في « روضات الجنات » في أحوال العلماء والسداد ، (طهران ١٣٦٧ھ) ص ٤٨٤ .
- 26 - مرتضى الزبيدي ، في « تاج المروس » (حصب) .
- 27 - على القارى ، علي بن سلطان المروي المتوفى سنة ١٠١٤ھ في مقدمة شرح الشفا ٢/٢ (استانبول ١٣١٦ھ) .
- 28 - يوسف البيان سركيس ، في « معجم المطبوعات العربية والمغربية » ، ١٣٩٧، وصحف في تاريخ ميلاده فجعله ٤٩٦ھ وصوابه ٤٧٦ھ .
- 30 - دائرة المعارف الإسلامية (مادة عياض)
- 31 - اسماعيل باشا البغدادي في « هدية العارفين » ، واحتدا في نسبة بعض الكتب إليه ، وقد أشرنا إلى الصواب فيما عندما ذكرنا مؤلفات القاضي .